﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا ٤٢﴾ [الإسراء: 42]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

عـود إلى نقض الشّرك وحججه الباطلة

بعد أن ذكرت الآية السابقة، وأخبرت عما حواه القرآن الكريم من صنوف القول وأفانينه المفعمة بالأدلة والحجج والبراهين الإقناعية المثبتة لهم ما هم فيه من فساد، والمقررة في الوقت نفسه عقيدة الحق، لعلهم بمراجعتها وتدبُّرها أن يبدلوا وجهتهم، من السير في طريق الضَّلال إلى السير في طريق الهدى والنور؛ بعد هذا الفاصل الأسلوبي بهذا الاعتراض الذي حوته الآية السابقة، عادت بنا الآيات" إِلَى إِبْطالِ تَعَدُّدِ الآلِهَةِ، زِيادَةً في اسْتِئْصالِ عَقائِدِ المُشْرِكينَ مِنْ عُروقِها"[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾: أصلُ (بغي): طَلَبُ الشَّيْءِ، تَقول: ابْتَغَيْتُ الشَّيْءَ، وبَغَيْتُهُ، أَبْغيهِ بُغْيَةً وابْتِغاءً، أيْ: طَلَبْتُهُ[2]، والباغي: الَّذي يَطْلُبُ الشَّيْءَ الضالَّ، وأَبْغاهُ الشَّيْءَ: طَلَبَهُ لَهُ وأَعانَهُ على طَلَبِه[3]، وقيل: الابْتِغاءُ هو الاجْتِهادُ في الطَّلَبِ[4]، وهو أيضًا: الإرادَةُ والقَصْدُ، يُقالُ: ابْتَغَيْتُ الأَجْرَ في عَمَلي، أي: قَصَدْتُهُ، ويأْتي بِمعنى الاتِّخاذ، تَقول: ابْتَغَيْتُ البَيْتَ سَكنًا لي، أيْ: اتَّخَذْتُهُ[5] والمقصود (ابْتِغاءُ السَّبيلِ) في الآيةِ: طَلَبُ طَريقِ الوُصولِ إلى الشَّيءِ، أَي: تَوَخّيهِ والاجْتِهادِ لِإِصابَتِه[6].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 15/ 110.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (بغي).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة، وابن منظور، لسان العرب: (بغي، بغا).
(4) الراغب، المفردات: (بغي)، والمناويّ، التّوقيف على مهمّات التّعاريف، ص: 35.
(5) الخليل، العين، والفيروزابادي، القاموس المحيط، وابن منظور، لسان العرب: (بغا - بغي).
(6) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 110.

2) ﴿ذِى ٱلۡعَرۡشِ﴾: أَصْلٌ (عرش): يَدُلُّ عَلَى ارْتِفاعٍ في شَيْءٍ مَبْنِيّ، يُقال: عَرَشْتُ الشَّيْءَ وعَرَّشْتُهُ، أَعْرُشُهُ، تَعْرِيشًا، أَيْ: رَفَعْتُهُ، ومِنْهُ العَرِيشُ، وهو: بِناءٌ يُرْفَعُ يُسْتَظَلُّ بِهِ[1]؛ وسمّي مجلس السّلطان عَرْشًا اعتبارًا بعلوّه[2].والعَرْشُ: سَرِيرُ المَلِكِ، يُقال: جَلَسَ المَلِكُ على عَرْشِه، أَيْ: سَرِيرِهِ[3]، ويأتي بمعنى سَقْفِ البَيْتِ[4]، والعَرْشُ حَقِيقَتُهُ: الكُرسيُّ المُرْتَفِعُ الَّذي يَجْلِسُ عليه المَلِكُ، قالَ تَعالَى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: 100]. والمقصود بالعَرْشِ في الآية: اسْمٌ لِعالَمٍ يُحيطُ بِجَميعِ السَّماواتِ؛ سُمّيَ عَرْشًا لأَنَّهُ دالٌّ على عَظَمَةِ اللّه تعالى كما يَدُلُّ العَرْشُ على أَنَّ صاحِبَهُ مِنَ المُلوكِ[5]، والمرادُ بِذي العَرْشِ: هو اللّه تَعالَى سُبحانَهُ.

3) ﴿سَبِيلًا﴾: (سبل): أَصْلٌ واحِدٌ يَدُلُّ على إِرسالِ شَيءٍ مِنْ عُلوٍّ إلى سُفْلٍ، وعلى امْتِدادِ شَيءٍ، فالأَوَّلُ مِنْ قيلِكَ: أَسْبَلْتُ السِّتْرَ، وَأَسْبَلَتِ السَّحابَةُ ماءَها وَبِمائِها، وأمّا الثّاني: فالمُمْتَدُّ طولًا: السَّبيلُ وما وَضَحَ مِنْهُ، وَهوَ الطَّريقُ؛ سُمّيَ بِذَلِكَ لِامْتِدادِهِ[6]، يُذَكَّرُ ويُؤَنَّثُ، والتَّأنيثُ أَغْلَبُ، وسَبيلُ اللّهِ: طَريقُ الهُدى الذي دَعا إِليهِ، وجمعُه: سُبُلٌ[7]، والمقصودُ بالسَّبيل في الآية: طريقُ السَّعْيِ إِلَى الغَلَبَةِ والقَهْرِ، أَيْ: لَطَلَبوا مُغالَبَةَ ذي العَرْشِ وهو اللّه تَعالَى[8].

المَعْنى الإِجْماليُّ:

قُلْ يأيُّها الرَّسول ﷺ لهؤلاء المشركين المغترّين العابدين للأصنام،

العَـــودُ إلى إبـطـالِ تـعـدُّدِ الآلهةِ زيـادة في استِئصالِ جذورِ عَقائِدِ المُشْرِكينَ

(1) الخليل، والعين، الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عرش).
(2) الرّاغب، المفردات: (عرش).
(3) السّجستانيّ، غريب القرآن، ص: 335، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن عبّاد، المحيط في اللّغة: (عرش).
(4) الأزهريّ، تهذيب اللّغة: (عرش).
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 8 - ب/ 165، و30/ 249، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 7/ 1512.
(6) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سبيل).
(7) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن سيده، المحكم، وابن منظور، لسان العرب: (سبل).
(8) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 111.

وغيرها من دون الله - قُلْ لَهُم: لَو كانَ مَعَ اللهِ مَعبوداتٌ سِواه - كما يَزعُمُ المُشرِكونَ -، إذَنْ لَطَلَبَتْ تلك المَعبوداتُ المَزعومةُ التَّقرُّبَ إلى اللهِ، ونَيْلَ رِضاه بعبادتِه؛ لاعترافِهم بفَضلِه، وعِلْمِهم بقُدرتِه وعَجزِهم، فكيف تَعبُدونَهم مِن دونِه والحالةُ هذه[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالة الاستئناف في قوله ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ﴾:

الاستئناف تأكيد لانتفاء الشّريك

الاستئناف في هذه الجملة المبدوءة بالفعل ﴿قُل﴾ قد يكون ابتدائيًّا بَعْدَ جُمْلَةِ ﴿وَلَا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلۡقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومٗا مَّدۡحُورًا﴾، والمُخاطَبُ بالأَمْرِ بالقَوْلِ هوَ النبيّ ﷺ لِدَمْغِهِمْ بالحُجَّةِ المُقْنِعَةِ بِفَسادِ قَوْلِهِمْ[2]، وقد يكون الاستئناف بيانيًّا، فيكون بين هذه الجملة والمفصولة والجملة التي قبلها (شبه كمال اتصال) "فكأنه قيل: فما يفعل بهم؟ فقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ﴾"[3].

دلالة التّعبير بفعل الأمر ﴿قُل﴾:

إفادة (قُلْ) وجوب الاهتمام بهذا البلاغ بلفظه

في تصدير الآية بالأمر ﴿قُل﴾ دليل على الاهتمام بالأمر المطلوب تبليغه، وكأنه وحده مخصوص بالتبليغ، رغم أن القرآن كله في وجوب التبليغ سواء، فجميع القرآن مأمور بتبليغه[4]، كما قال سبحانه: ﴿۞يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغۡ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَۖ وَإِن لَّمۡ تَفۡعَلۡ فَمَا بَلَّغۡتَ رِسَالَتَهُۥۚ﴾ [المائدة: 67].

غرض التّعبير بأسلوب الشّرط:

البرهنة على عدم وجود إله مع الله تعالى، بالشّرطيّة الامتناعيّة

قوله تعالى: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٞ كَمَا يَقُولُونَ إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلٗا﴾، وفيه ورود هذه الجملة الشّرطيّة، في مقام المحاجة على نفي

(1) ابن جرير، جامع البيان: 14/ 603، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 5/ 78، ومجمع البحوث، التّفسير الوسيط: 5/ 760.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 110.
(3) البقاعيّ، نظم الدّرر: 11/ 422.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 110.

الشريك لله تعالى، هو برهان دالٌّ على هذا الانتفاء؛ إذ المعنى عليه: لو كان مع الله آلهة أخرى كما يزعمون ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ - أي: الآلهة المزعومة - ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ إِلَىٰ ذِي ٱلۡعَرۡشِ سَبِيلًا﴾ أي: لطلبوا إلى مغالبة ذي العرش وهو الله تعالى وإزالة ملكه سبيلًا إلى ذلك، لأنهم حينئذٍ يكونون شركاءه وأنداده، ومِن حقهم مغالبته والانتصار عليه حتى لا ينازعهم هذا الملك، وينفردون به دونه، كما يفعل ملوك الدنيا بعضهم مع بعض، سبحان الله وتعالى عن ذلك علوًا كبيرًا![1] وهذه قضيّة شرطية متَّصلة كما يسميها المناطقة، وغايتها في الاستدلال: إثبات تلازم واتصال بين قضيتين أو نفيه، بحيث تتعلق إحداهما على الأخرى، فإن وجدت الأولى وجدت الثانية، وإلا، فلا، أي أن "القضية الشرطية لا تفيد إلا كون الشرط مستلزمًا للجزاء"[2]، وقد استخدم القرآن الكريم حرف الشرط ﴿لَّوۡ﴾ وهو حرف امتناع لامتناع، أي: امتناع وقوع الجزاء، وهو (الابتغاء) لعدم وجود الشرط، وهو (وجود آلهة مع الله)، ومِن ثمّ أعقب هذه الآية بقوله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوّٗا كَبِيرٗا﴾، ويسمى هذا البرهان بحسب علماء الكلام (برهان التمانع)[3] وبحسب البلاغيين (المذهب الكلامي)[4] وقد استخدمه القرآن الكريم في عدد من المواضع للبرهنة على المطلوب منها: مثل قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَرۡشِ عَمَّا يَصِفُونَ ٢٢﴾ [الأنبياء: 22].

غرض تقديم شبه جملة ﴿مَعَهُۥٓ﴾:

نفي وجود آلهة معه سبحانه مؤكّد

قدّم الظّرف وهو خبر كان على اسمها في قوله: ﴿لَّوۡ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ﴾، للاهتمام لكون المقصود هو نفي أن يكون معه سبحانه آلهة نفيًا مؤكدًّا.

(1) الشّنقيطيّ، أضواء البيان: 3/ 158.
(2) الرّازيّ مفاتيح الغيب: 27/ 645.
(3) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 20/ 346، والشِّهاب الخفاجيُّ، عِناية القاضي: 6/ 34.
(4) أحمد الخطيب، مفاتيح التّفسير: 2/ 793، ويُعرِّف بأنّه: "إيراد حجّة للمطلوب، على طريقة أهل الكلام"، وسمّاه بعضهم: (الاحتجاج النّظريّ).

غرض تنكير اسم كان (آلِهَةٌ):

في تنكير اسم كان ﴿ءَالِهَةٌ﴾ لفت إلى تقليل شأنها وتحقيرها، فالآلهة المتّخذة من دون الله حقيرة لا نفع لها ولا شأن.

نكتة الاعتراض بقوله ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾:

انتزاع برهان التّوحيد من نفس دعواهم الفارغة

نكتة الجملة الاعتراضية ﴿كَمَا يَقُولُونَ﴾ تظهر في الإشارة إلى تفاهة هذا القول وتهافته، لأنّه مجافٍ للحق مجانِبٌ للصّواب، فهو مجرّدُ قول أجوف خواء.

ومن دلالاتها أيضًا إقامة الحجّة عليهم بكلامهم، ثمّ انتزاع برهان التّوحيد من نفس دعواهم، وهذا أسلوب في الاحتجاج راق ومفحم.

وفيها كذلك الاحتراس والتّسجيل عليهم بهذا القول؛ كي لا يظنّ أنّه من كلام أحد سواهم.

دلالة التّعبير بالمضارع في ﴿يَقُولُونَ﴾:

تجدّد القول منهم وتكرُّره، دليلُ سفه عقولهم

دلّ التّعبير بقوله ﴿يَقُولُونَ﴾ مضارعًا على أنهم كانوا يكررون القول بعبارات الشّرك بالله، كالقول بأنّ له البنات، وأنّ له شركاء كالأصنام، وغير ذلك مِن سائر عبارات الشرك بالله.

سرّ تنوع القراءات بالغيبة والحضور في (تَقُولُونَ):

القراءتان في المعنى بمثابة آيتين، دلالة ومؤدّى

قرأ ابنُ كثيرٍ وحفصٌ ﴿يَقُولُونَ﴾ بالياءِ مِنْ تحت، والباقون بالتاء مِنْ فوقُ ﴿تَقُولُونَ﴾ وتوجيه ذلك: أن قراءة الياء ﴿يَقُولُونَ﴾ على الغائب محمولة قولِهِ: ﴿وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا﴾، وأن قراءة الخطاب ﴿تَقُولُونَ﴾ محمولة على معنى: (قل لهم يا محمد ﷺ لو كان معه آلهةٌ كما تقولون ...)[1].

دلالة التّعبير بحرف الجواب ﴿إِذًا﴾:

(إذًا) حرف جواب مؤكّدة لمعنى جواب (لو)

وكلمة: ﴿إِذًا﴾ حرف جواب دالة على أن ما بعدها وهو ﴿لَّٱبْتَغَوْا۟﴾

(1) السّمين، الدّر المصون: 7/ 361.

جواب عن مقالة المشركين وجزاء لـ ﴿لَّوۡ﴾[1] ومؤكّدة لمعنى الجواب الّذي تدلّ عليه اللّام[2] في ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾.

دلالة اقتران جواب لو باللّام ﴿إِذٗا لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾:

تأكيد استحالة حصول ظنّهم في الواقع

اللام في: ﴿لَّٱبۡتَغَوۡاْ﴾ واقعة في جواب ﴿لَّوۡ﴾ وهي تفيد معنى "أن الجواب جزاء عن الكلام المجاب"[3].

إيثار التّعبير بالمجرور مضافًا ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾:

التّعبير بـ (ذِي الْعَرْشِ)، دالّ على العُلوّ الإلهيّ

في التّعبير بـ ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ دلالة على العلوّ الإلهيّ، كما يدلّ له أيضًا، قوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ﴾ [غافر: 15]، وفيه تلميح إلى دنوِّ ما اتّخذوه آلهة من دونه سبحانه، وجعلوهم له شركاء، وتعريض كذلك بعابديها؛ إذ كيف يساوون بين آلهتهم وبين الله تعالى الّذي له العلوّ المطلق، والقدرة المطلقة، والكمال المطلق؟

غرض تقديم ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ على ﴿سَبِيلًا﴾:

التّقديم للاهتمام وإفادة الكمال في العلوّ

قدَّم قوله ﴿ذِي ٱلۡعَرۡشِ﴾ على المفعول به ﴿سَبِيلًا﴾، لكونه الأولى بالتقديم، فالكلام مسوق لأجل إثبات صفات الكمال والعلو لله، ونفيها عن آلهتهم، وأيضا نفي صفات النقص عنه سبحانه وإلصاقها بآلهتهم.

غرض تنكير المفعول به ﴿سَبِيلًا﴾ في السّياق:

التّنكير للشّيوع والتّعميم

ونكَّر المفعول به ﴿سَبِيلًا﴾، لفتح المجال أمام الآلهة المدعاة، لتسلك أي سبيل شاءت في المغالبة، دون التقيد بسبيل محدَّد.

❁ الفُروقُ المُعْجَمِيَّةُ:

الابتغاءُ والسُّلوكُ:

السُّلوكُ: النّفاذ في الطّريق، يقال: سَلَكْتُ الطّريق، وسَلَكْتُ كذا

(1) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 669.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 110.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 15/ 110.

الابتغاء اجتهاد فـي الـطّـلـب، وهـو أقـوى، والسّلوك النّفاذ في الطّريق

في طريقه، قال تعالى: ﴿لِّتَسۡلُكُواْ مِنۡهَا سُبُلٗا فِجَاجٗا ٢٠﴾ [نوح: 20]، وقال: ﴿فَٱسۡلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلٗاۚ﴾ [النّحل: 69][1].

وأمّا الابتغاء فهو الطلب، يُقال: "بَغَى الشيءَ يبغيه: طلبه"[2] بل هو نوع مخصوص منه، فهو الطّلب الذي بذل صاحبه في سبيل تحصيله جهدًا مُميزًا، وليس كذلك كل طلب "فالابتغاء افتعال من البغي، وقد غلب اختصاص هذه الكلمة للدلالة على الاجتهاد في الطّلب، سواء كان الطلب محمودًا أو مذمومًا، ثم إنه يُحمَد بحمده ويُذَم بذمه؛ أي: أن الطلب متى كان لشيء محمود فالابتغاء فيه محمود، ومنه ﴿وَإِمَّا تُعۡرِضَنَّ عَنۡهُمُ ٱبۡتِغَآءَ رَحۡمَةٖ مِّن رَّبِّكَ تَرۡجُوهَا فَقُل لَّهُمۡ قَوۡلٗا مَّيۡسُورٗا ٢٨﴾ [الإسراء: 28]، وقوله تعالى:﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: 265]، ومنه أيضًا الآية الّتي معنا: ﴿وَٱلَّذِينَ صَبَرُواْ ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِمۡ﴾ [الرّعد: 22]، ومتى كان الطلب مذمومًا، كان الابتغاء فيه مذمومًا، كما في قوله سبحانه: ﴿لَقَدِ ٱبۡتَغَوُاْ ٱلۡفِتۡنَةَ مِن قَبۡلُ﴾ [التّوبة: 48][3] وعلى هذا فالتّعبير الابتغاء في الآية أقوى وأنسب؛ إذ معناه: لو كان مع اللّه آلهة كما زعمتم، لاجتهدت هذه الآلهة في مغالبته أيّما اجتهاد، لتنفرد بالألوهيّة دونه، أمّا السّلوك فهو مطلق النّفاذ في الطّريق، دون دلالته على معنى زائد على ذلك.

(1) الرّاغب، المفردات: (سلك).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقيّ: (بغو).
(3) الراغب، المفردات، السمين، عمدة الحفاظ: (بغي).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والعشرون،
سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 28 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-768-25-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 28 : المجلد الثامن والعشرون، سورة الإسراء من الآية 06 إلى الآية 77.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-768-25-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9844230 بتاريخ 2024/11/05م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»